مجلة
جامعة الأقصى - غزة

عدد خاص

مجلة جامعة الأقصى - غزة

عدد خاص - الجزء الأول

جمادي الأول ١٤٢٧هـ - يونيو ٢٠٠٦ م

مجلة علمية محكمة

(نصف سنوية)

المؤتمر العلمي الدولي الأول

(النص بين التحليل والتأويل والتلقي)

الأربعاء و الخميس الموافق 6,5 أبريل 2006 م

تصدر عن

عمادة البحث العلمي

جامعة الأقصى

غزة - فلسطين

عدد خاص - الجزء الأول

جمادي الأول ١٤٢٧هـ - يونيو ٢٠٠٦ م

ثالثاً : المحور الثالث : النص ومستويات القراءة

البنى الميثولوجية والنص التاريخى

د. محمد نصر عبد الرحمن*

الملخص

كثيرا ما نصادف في بعض النصوص الإخبارية لدى بعض مؤرخي العصور الوسطى بعض البنى الميثولوجية التي ربما اكتنفها الغموض، مما يجعلها مستعصية على الإدراك وعسيرة على التحليل . وعادة ما نقابلها بنوع من الازدراء وعدم التفهم ، ويكون مصيرها الإهمال نتيجة قناعاتنا الأثيرة بأنها مجرد روح العصر التي تأثر بها واضع النص، أو كما يقول (فوكو) :إن إرادة عدم المعرفة هي التي تتحكم سلفاً في نظرتنا لعمل الأسلاف من المؤرخين.

ولا ينبغي علينا أن نهمل هذه البنى؛ لأنها تمثل أحد الأركان الهامة للنص التاريخي، وهي في جوهرها عبارة عن ترميز النفاذ إليه، حيث إنها تكشف لنا عن عمق الدلالة الحقيقية للنص. فنحن بحاجة لرؤية طرائق جديدة في معالجة وفهم تلك النصوص، وما تحويه من بنى مثولوجية.

لكننا في الوقت ذاته، لا ينبغي أن نوظف هذه الطرائق بقصدية موغلة في الصرامة، وبعيداً عن الأحداث، وبشكل لا يتناسب معها، وإنما يعنى انسجام هذا التوظيف بطريقة أو بأخرى مع الأحداث ودلالاتها المحايثة للبنية التاريخية السهلة والواضحة الأطروحة. حتى نستوعب النص ونحيط بدوائره المباشرة دون أن نجنح في تأملاتنا إلى الحد الذي يجعلنا نسقط في شباك المبالغة، ويظل إدراكنا لطبيعة النص منقوصاً .

وفي هذا المجال اخترت بعض النصوص التاريخية التي تتعلق بانتشار الإسلام في بعض مناطق الهند وتخومها خلال العصور الوسطى لكي نطبق عليها تلك الرؤية، ويرجع هذا الاختيار لعوامل عدة لعل أهمها: هو تميز المجتمع الهندي في الجانب الميثولوجى، فمن نافلة القول أن الهنود يميلون للطوطمية والميثولوجيا، وبها أنتجوا ثقافتهم الأسطورية. بجانب تعدد النصوص التاريخية التي تحمل في جوانبها العديد من البنى الميثولوجية، والتي جرى تفسيرها من زاوية واحدة، لحمتها التشكيك في محتوى تلك النصوص، وسداها عدم الاكتراث بمحتواها .

نُظر لهذه النصوص نظرة أحادية الجانب بلا تعمق في دلالاتها، ودون أن تضاف للمعادلة التاريخية عوامل أخرى تتعلق بطبيعة المجتمع الهندي وخصوصيته. لذلك علينا هنا أن نقف أمام هذه النصوص ونرسم لها فضاء آخر؛ لأن النص التاريخي هنا كالكائن الحي، لا يمكن

* جامعة عين شمس – القاهرة - مصر.

حصره أو تحديده داخل حدود صارمة، فذلك لا يؤدى إلا إلى تشويه النص وإفقاره وبتره وتجريده من ثرائه وتعقيده.

وبوجه عام يبدو منظورنا المنهجي هنا واضحاً في سعيه لتحليل الفرضيات، والإشكاليات المطروحة تحليلاً مضموناً وموضوعاً، واتخاذ الرؤية التعددية للنص عصاً نتوكأ عليها في محاولة لاستجلاء الحقيقة التاريخية.

ABSTRACT

We mightily encounter some ambiguous Mythological textures in some historical texts with certain historians of the medieval ages. These textures are complicated and abstruse. We ordinarily transact it with contumely and carelessly, as we conceive that it was mere complexion of the epoch that influential on the historian , or as **Foko** vociferate that the volition of ignorance overrule in our perspective to the works of the antecedent historians.

We must not eliminate these textures because it is up taking one of the consequential nooks for historical text. It is in his hardpan just ensign, the penetrating to it reveal for us the actual denotation for text. So we need to new visibility and procedures for correctional and apprehension these texts and what contain from Mythological textures.

We must not exploit these procedures severely, and distal about the circumstances in configuration not proportion with it. However, we must exploit these procedures in configuration proportion with the circumstances and its perspicuous and articulate denotation. While we assimilate the text without amplification.

I had adopted some historical texts that discuss circulation the Islam in some district of India and its confines during medieval ages to appliance this view on it. I had adopted this country for some factors as superiority of Indian society in the mythological side. Moreover, plurality the historical texts that contain numerous of the Mythological textures, that were accounted from one angularity, and the virtuosos had misdoubted in content these texts, and neglected it.

The virtuosos had looked to these texts from one side without deeply in its indication, or deliberate nature of the Indian society. Therefore, we must excogitate these texts again from another perspective.

In general, I will try to analyze these texts in documentary decomposition, and exercise sights voluminous for dissection the text for access to the historical actual.

المقدمة:

كثيرا ما نصادف في بعض النصوص الإخبارية لدى بعض مؤرخي العصور الوسطى بعض البنى الميثولوجية التي ربما اكتنفها الغموض، مما يجعلها مستعصية على الإدراك وعسيرة على التحليل. وعادة ما نقابلها بنوع من الازدراء وعدم التفهم، ويكون مصيرها الإهمال نتيجة قناعاتنا الأثيرة بأنها مجرد روح العصر التي تأثر بها واضع النص، أو كما يقول (فوكو) أن إرادة عدم المعرفة هي التي تتحكم سلفاً بنظرتنا لعمل الأسلاف من المؤرخين.

ولا ينبغي علينا أن نهمل هذه البنى لأنها تمثل أحد الأركان الهامة للنص التاريخي، وهي في جوهرها عبارة عن ترميز النفاذ إليه يكشف لنا عن عمق الدلالة الحقيقية للنص. وبالتالي فنحن بحاجة لرؤية وطرائق جديدة في معالجة وفهم تلك النصوص وما تحويه من بنى مثولوجية.

لكننا في ذات الوقت لا ينبغي أن نوظف هذه الطرائق بقصدية موغلة في الصرامة وبعيداً عن الأحداث وبشكل لا يتناسب معها، وإنما يعنى انسجام هذا التوظيف بطريقة أو بأخرى مع الأحداث ودلالاتها المحايثة للبنية التاريخية السهلة والواضحة الأطروحة . حتى نستوعب النص ونحيط بدوائره المباشرة دون أن نجنح في تأمليتنا إلى الحد الذي يجعلنا نسقط في شباك المبالغة ، ويظل إدراكنا لطبيعة النص منقوصاً.

وفي هذا المجال اخترت أحد النصوص التاريخية، وبعض النصوص الأخرى المتعلقة به، والتي تناولت انتشار الإسلام في بعض مناطق الهند وتخومها خلال العصور الوسطى لكي نطبق عليها تلك الرؤية، ويرجع هذا الاختيار لعوامل عدة لعل أهمها هو تميز المجتمع الهندي في الجانب الميثولوجى، فمن نافلة القول أن الهنود يميلون للطوطمية والميثولوجيا، وبها أنتجوا ثقافتهم الأسطورية[(1)]. بجانب تعدد النصوص التاريخية التي تحمل في جوانبها العديد من البنى الميثولوجية، والتي جرى تفسيرها من زاوية واحدة لحمتها التشكيك في محتوى تلك النصوص، وسداتها عدم الاكتراث بمحتواها .

فقد نُظر لهذه النصوص نظرة أحادية الجانب دون التعمق في دلالاتها، ودون أن تضاف للمعادلة التاريخية عوامل أخرى تتعلق بطبيعة المجتمع الهندي وخصوصيته. لذلك علينا هنا أن نقف أمام هذا النصوص ونرسم لها فضاء آخر، لأن النص التاريخي هنا كالكائن الحي، لا يمكن

(1) عن الميثولوجيا الهندية خاصة في المجال الدينى انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، المجلد الثانى : الهند وجيرانها ، ترجمة زكى نجيب محمود ، محمد بدران ، (القاهرة ، 2001) ، ص221 وما بعدها .

حصره أو تحديده داخل حدود صارمة، فذلك لا يؤدى إلا إلى تـشويه الـنص وإفقـاره وبتـره وتجريده من ثرائه وتعقيده .

وبوجه عام يبدو منظورنا المنهجي هنا واضـحاً فـي سـعيه لتحليـل الفرضـيات، والإشكاليات المطروحة تحليلاً مضمونياً أو موضوعاتي، واتخاذ الرؤية التعددية للـنص عـصاً نتوكأ عليها في محاولة لاستجلاء الحقيقة التاريخية.

ونصنا عبارة عن رواية وردت في مصنفين عربيين:المصنف الأول كتبه محمـد بـن مالك وهو ابن أحد الشخصيات المحورية في الرواية ويحمل عنوان "ظهور الإسلام في مليبار"[1]. والمصنف الثاني مجهول المؤلف[2] يحمل عنوان " قصة چكروتى فرماض" [3]. وهو مروى على لسان محمد بن مالك أيضاً. والمصنفين يرويان قصة إسلام أحد الحكام الهنود من آخـر ملـوك أسرة چيرا ويـدعى چيـرامين بيرومـل Cheramen Perumal [4] مـن منطقـة سـاحل مليبار[5].وتبدأ أحداث تلك القصة بمبعث النبي ﷺ ودعوته لقريش للدخول في الإسلام ،ثم تمضى القصة لتحكى كيف حارت قريش في أمر النبي ﷺ وعجزت عن مواجهـة دعوتـه وتفكيرهـا الاستعانة بأحد سادات العرب ويدعى (حبيب بن مالك) لنفوذه وعلمه بالأديان، فأعدوا وفداً مـنهم لزيارته في يثرب، وقد رحب حبيب بهم ووعدهم بالتصرف في الأمر.وبالفعل عزم حبيب علـى

(1) انظر :

Mohammad b. Malik, Tarikh “Zuhur-al Islam fil Malibar, Mal. trans., K.K. Muhammad Abdul Karim, Markaz al ‘Ulum Souvenir, Kondotti, 1988.p.30f.

(2) مجهول ، قصة شكروتى فرماض ، نسخة المكتب الهندى،(1) India office Ms. Loth 1044 ،قام بنشره : Friedmann , Y., in **Israel Oriental studies** , V(1975) , pp.246 – 257.

(3) وشكروتى يعنى الملك أو الإمبراطور ، انظر : عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، (القاهرة ، 1959) ، ص 64 ؛ وفرماض ربما كان تحريفا لاسم بروميل Perumal انظر :

Friedmann , Y., " Qissat Shakarawati Farmad .A tradition concerning the introduction of Islam to Malabar " , **Israel Oriental studies** , V(1975) , pp.246.

(4) هو آخر ملوك أسرة چيرا Chera التي حكمت ماليبار ، ومعنى كلمة چيرامين Cheraman ملك مـن أسـرة چيرا ، وبيروميل Perumal هو أسمه الخاص . أنظر : محى الدين الألوائى ؛" مابلا " ، **مجلة ثقافـة الهنـد** ، سبتمبر 1955 ، ص34.

(5) كانت تسمى قديماً كيرلم Karalam ، وهي صورة محرفة لكلمة چيرلم Charalam أو چيرل بمعنى سلـسلة الجبال . وكلمة ماليبار أطلقها المسلمون على هذا الساحل ، وهي مكونة من مقطعين ؛ مالى Mali بمعنى جبـل وبار Bar بمعنى بلد . انظر :

Nadvi , S., " Muslim Colonies in India before the Muslim conquest ", **Islamic Culture** 8(1934) , p.481.

التحرك لمكة ومقابلة النبي ﷺ لمعرفة أمره.وفي مكة كان اللقاء وطلب حبيب من النبي ﷺ أن يأتي بمعجزة تؤيد نبوته كما فعل الرسل من قبله، وأن تكون المعجزة هي انشقاق القمر.

وخلال ذلك هبط جبريل على النبي ﷺ وطمأنه بأن المعجزة ستتحقق حتى ينصره الله على مكذبيه. وبالفعل انشق القمر[1]، فآمن حبيب ومن معه ، ثم عادوا إلى يثرب مرة أخرى. ولم يكن حبيب ومن معه هم من شاهد هذه المعجزة فقط ، بل شاءت الأقدار أن يرى هذه المعجـــزة سلطان مليبار چكروتى. ثم تمضى القصة لتروى لنا كيف حيرت هذه الظاهرة العجيبة لب الملك الهندي وجعلته يطلب من كهنته تفسيرها لكنهم عجزوا عن تأويلها . وبعد فترة تمثل النبـــي ﷺ له في منامه وفسر له ما رآه بخصوص انشقاق القمر. وخلال تلك الفترة قدم على بلاده جماعـــة من اليهود والنصارى من شبه الجزيرة العربية، وعلم منهم بظهور رجل يسمى محمد بن عبد الله وأنه يقول بالنبوة فعلم أن رؤيته حقيقية ولكن لم يظهر ذلك لما رآه منهم من عداوة للنبي ﷺ.

وكان من عادة بعض العرب المرور بأرضه سواء للتجارة أو زيارة قدم آدم في جزيرة سيلان [2]. فانتظر حتى أقبل على بلاده أحد الوفود العربية المتجهة إلى جزيرة سيلان، فأرســـل في طلبهم، وقد أظهر كبير الوفد وكان يدعى الشيخ ظهير الدين من الوقـــار والعلـــم مـــا جعـــل چكروتى يفضى إليه برؤياه. وهنا قص عليه الشيخ أمر النبى ﷺ وارتباط المعجزة به، ونجـــح في استمالة چكروتى للإسلام، وقرر الأخير زيارة النبى ﷺ في المدينة واصطحاب الوفد العربى عند إيابه من جزيرة سيلان.

---

(1) وردت تلك المعجزة في قوله تعالى " **اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ*** " ، آية (1) – سورة القمر . كما وردت بعض الأحاديث النبوية عن تلك المعجزة ، ومنها ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : انشق القمر على عهد رســـول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا ، فقال رسول الله اشهدوا " . رواه البخارى وسلم في صحيحيهما . وللمزيد عن هـــذه المعجزة انظر : البيهقى ، دلائل النبوة ، ج1 ، (القاهرة ، 1970) ، ص95-96 ؛ السيوطى ، الخصائص الكبرى ، ج1، (حيدر آباد ، 1319هـــ) ، ص125 – 126 ؛ القسطلانى ، المواهب اللدنيـــة فـــي المواهـــب المحمديـــة، ج1، (القـــاهرة ، 1281هـــ) ، ص468 ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، (بيروت ، 1994)، ص245.

(2) ورد في بعض المصادر التاريخية أن آدم بعد أن هبط من الجنة ، كان هبوطه على جزيرة سيلان ، وأن هناك اثر لقدمه على أحد جبال تلك الجزيرة . كما ذكرى القزوينى حديثاً غريباً عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : خير بقعة ضربت إليها آباط الإبل مكة ومسجدى هذا والمسجد الأقصى ، وجيرة سرنديب فيها نزل أبونا آدم . انظر : الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك، ج1 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، 1960) ص 80 ؛ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، نشر دى غويه، (ليدن ، 1889) ص64 ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، (بيروت ، 1960) ، ص34 ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، (القاهرة ، 1996) ، ص73.

وبعد أن رتب الملك أمور مملكته رحل في سرية تامة صوب شبه الجزيرة العربيـــة، وعند وصوله استقبله النبى ﷺ ورحب به وأعطاه اسما جديداً هو (تاج الدين الهندى المليبـــارى) بعد أن اعتنق الإسلام . وفي حضرة النبى ﷺ تعرف چكروتى على حبيب بـــن مالـــك وأخيـــه شرف، وأخيه من أمه مالك بن دينار، وارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً حتى أنه تزوج أخت مالك، وعند عودته لبلاده اصطحب معه شرفاً ومالكاً، ومالك بن حبيب وأبناءهم.

وفي رحلة العودة وأثناء توقفهم في منطقة الشحر[1] جنوب الـــيمن مـــرض چكروتـــى مرضاً شديداً، ولما أحس بدنو أجله كتب وصيته بالخط المليبارى وطلب من رفاقه أن يواصـــلوا رحلتهم إلى الهند، وأن يسلموا الوصية لنائبه على مملكته حتى يكرم وفـــادتهم. وبعـــدها أســـلم چكروتى الروح في اليوم الأول لهجرة النبى من مكة إلى يثرب، وتم دفنه في الشحر[2]. ويبدو أن شرفاً ومالكاً بقوا هناك لفترة حيث تطايرت الأخبار بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم مما جعلهـــم يعودون للمدينة ولم يكملوا رحلتهم للهند.

ثم رأى مالك بن حبيب النبى ﷺ في رؤية وطلب منه تنفيذ وصية چكروتـــى، لـــذلك سرعان ما جمع معه عميه شرفاً ومالك بن دينار وأسرتيهما وتوجهوا صوب الهنـــد. ووصـــلوا ساحل مليبار عام 21هـــ/642م، حيث حط الركب رحاله فـــي مدينـــة كلنكلـــور Kalankallur وهناك أكرم الحاكم وفادتهم بعد أن سلموه الوصية، بل ومنحهم بعض الأراضى لإقامة مسجد لهم عليها وما يلزمه من أوقاف. ثم توغل مالك بن حبيب مع أسرته بعد ذلك في مليبار فاتجه لكـــولم Kawlam [3] وبنى عليها مسجداً ، وجعل ابنه قاضياً للمسلمين هناك، ثم واصل مسيرته في باقى مدن مليبار حتى بنى أحد عشر مسجداً، ثم أدركه الموت عام 24هـــ/ 645م[4]. أما مالـــك بـــن

---

(1) الشحر : بكسر الشين وسكون الحاء ، هي ساحل اليمن الممتد حتى عمان . انظر : البكرى ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج3 ، تحقيق مصطفي الـــسقا ، (بيـــروت ، 1403هـــــ) ، ص783 ؛ يـــاقوت الحموى، معجم البلدان ، ج3 ، بيروت (ب.ت) ، ص327.

(2) عن مقبرة شكروتى انظر :

Miles , S., The countries and tribes of the Persian gulf , (London , 1919), PP.552-554.

(1) وهي ميناء جنوب ساحل مليبار ، وتعرف الآن باسم كويلون Quilon وللمزيد عنها انظر ، القزوينـــي آثـــار البلاد ، ص 106 – 107 ؛

Nainar , H., Arab geographers' knowledge of Southern India , (Madras , 1942) ,P.44 – 45.

(2) وقبره معروف الآن في شمال مليبار باسم قبر سيدنا مالك . انظر : عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص63.

دينار فقد قرر السفر إلى اليمن لزيارة قبر چكروتي، ومنها عاد إلي خراسان حيث توفته رسل الموت هناك.

إلى هنا تنتهي روايتنا وقبل أن نتعمق في أحداثها يهمنا أن نشير أن لتلك القصة مثيلاتها في المصادر التاريخية الأخرى؛ فهناك مصدر تاريخى متأخر[1] يرجع للقرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى يتناول الأحداث نفسها، وتذكر هذه الرواية أن ملك مليبار أرسل في طلب وفد من المسلمين كان ماراً ببلاده في طريقه لسيلان لزيارة قدم آدم ، وأنه استفسر منهم عن النبى ﷺ، وأن شيخهم حدثه عن سيرة النبى ﷺ ومعجزة انشقاق القمر مما جعل الملك يعتنق الإسلام ويعزم الرحيل مع هذا الوفد بعد عودته من سيلان لكى يتشرف بزيارة النبى ﷺ ... ثم تمضى أحداث الرواية لتذكر الأحداث نفسها في روايتنا السابقة بصورة مختصرة. ويختتم زين الدين روايته بقوله "وليس لهذا الرأى سند واضح والرأى عندى أن هذه الواقعة كانت بعد القرن الثانى الهجرى" ومن الواضح أن زين الدين قد قام بتلخيص رواية مصدرنا المجهول وإن لم يقتنع ببعض أحداثها ووقوعها في عهد النبى صلى الله عليه وسلم، واختلف مع روايتنا السابقة في مداها الزمنى حيث يرجح تاريخ وقوعها في القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى، ويرفض بالتالى أن يكون هذا الملك قد قابل النبى ﷺ، أو أن تلك الأحداث ترجع لعهده، كما أنه ذكر أن اسم هذا الملك هو السامورى[2]. والملاحظ أن هذا المصدر اعتمد تفاصيل الرواية الأولى لكنه نسبها إلى فترة لاحقة دون أن يحلل ذلك، ولم يجهد نفسه في مناقشة الرواية نفسها؛ فإذا كان قد رفض أن تكون الرواية وقعت في عهد النبى فإنه لم يوضح سبب اتجاه الملك الهندى إلى شبه الجزيرة العربية ، كما لم يقدم تفاصيل أخرى تبرر افتراضه.

ولدينا رواية ثانية تتناول تلك الأحداث ولكن بتفاصيل جديدة هذه المرة [3] ؛ وتذكر الرواية أن اعتناق چيرامين بروميل للإسلام كان بسبب راجا ذيبة المهل (جزر المالديف) الذي كانت له صلات تجارية بالعراق، وتربطه أيضاً صداقة بچيرامين بروميل . وكان راجا يعرف

---

(3) زين الدين المليبارى ، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين ، تحقيق : حكيم شمس الله قادرى ، حيدر آباد (ب.ت) ، ص13 – 17.

(4) سامورى ، ساموترى ، تامورى ، تاموترى ، هي صور محرفة لكلمة سامورى ومعناها ملك البحر . انظر : محيى الدين ، مابلا ، ص34.

(1) انظر :

Umar b. Muhammad Suhrawardi , Rihlat al Muluk, Mal. Trans., Abdu Rahman, K, pp. 20-22.

الصوفي البصرى الشهير مالك بن دينار، وحصل منه على كتاب يروى معجزات النبـــي ومنهـــا (معجزة انشقاق القمر). وقد قرأ راجا على چيرامين وزيره كريشنا منجد Krishna Munjad هذا الكتاب، وكان من أثر ذلك أن ابدى الثلاثة اهتماماً كبيرا بالإسلام وقرروا أن يقوموا بزيـــارة سرية للجزيرة العربية وزيارة قبر الرسول في المدينة . وفي تلك الأثناء كانت زوجة چيـــرامين ترغب في إقامة علاقة غير شرعية مع كرشنا، فلما أعرض عنها اتهمته بـــالتحرش بهـــا، وقـــد صدق بروميل روايتها الملفقة وأصدر حكمه بإعدام وزيره. لكن الوزير قام بالفرار بعد أن تـــرك رسالة للملك يشرح له فيها حقيقة الموقف. وتمضى الأحداث باتجاه الوزير إلى راجـــا واعتنـــاق الاثنين للإسلام ثم تحقق چيرامين من كذب زوجته وعزم السفر للمدينة لينسى تلـــك الأحـــداث. وبالفعل جهز نفسه للرحيل مع ابن أخته الأمير كوهنور Kohinoor، وخلال ذلك لحق به وزيره كريشنا وسافر ثلاثتهم معاً من مدينة كرنجور (كدنغلور) Crangaor عام 82هـــ/701م في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك!!، ثم وصلوا البصرة حيث كان في انتظارهم مالك بن دينـــار، ثـــم تحركوا من البصرة للمدينة وظلوا بها أحد عشر عاماً . وفي عام 94هــــــ/713م عـــادوا إلـــى مليبار، وفي طريق العودة مرض چيرامين وتوفي في الشحر بساحل اليمن ودفن هنـــاك . ثـــم أكمل كوهنور - الذي بدل اسمه بعد إسلامه إلى صفي الدين محمد - ومعه مالك بن دينار ومعهـــم بعض أقارب مالك وآخرون من البصرة ، حيث استقروا في مليبار وبنوا هناك أحد عشر مسجداً.

وفي هذا النص نجد اختلافاً جزئياً في بنيته عن النصوص السابقة وإن تشابهت بعـــض الشخصيات والأحداث فچيرامين هنا لم يقابل النبى ولم يشهد المعجزة، وإن كان قد سافر بالفعـــل للجزيرة العربية واعتنق الإسلام وتوفي في طريق عودته بـــاليمن. كـــذلك اختفـــت شخـــصيات وظهرت شخصيات أخرى، فقد اختفت شخصية مالك بن حبيب الشخصية الرئيسية فـــي نـــصنا الأصلي، وظهرت شخصيات أخرى مثل: راجا ذيبة المهل، والوزير كرشنا، والأمير كوهنـــور، كما ظهر دور مالك بن دينار بصورة أساسية في هذا النص. وبغض النظر عن الاخـــتلاف فـــي بعض الأحداث والشخصيات يبقى الخط الأساسي للرواية وهو رحلة چيرامين واعتناقه الإســـلام، والتأكيد على معجزة انشقاق القمر حتى وإن لم يشاهدها الملك كما في نصنا الأصـــلي، وعـــودة الوفد العربي إلى مليبار وبناء المساجد هناك، هو الخط الذي يهمنا في تلك الرواية.

وهناك مصدر تاريخي آخر[1] أشار لتلك الأحداث باختصار شديد، وإن اتفق مع المصدر الأول في إرجاعها إلى عهد النبي ﷺ. ولم تكن المصادر الإسلامية هي الوحيدة التي تناولت هذه الأحداث ، بل كانت هناك إشارات قريبة منها في بعض المصادر الهندية غير الإسلامية، ففي الحوليات التاريخية لمملكة چيرا Keralopathi [2]، نجد أن هناك إشارات عن وجود ملكين من مملكة چيرا قاما بزيارة مكة؛ الملك الأول هو بالى بانا بروميل Bali Bana Perumal، والثاني هو چيرامين بيروميل. وإن كانت الحوليات قد اختلفت في ذكر التفاصيل؛ فالملك الأول ذكرت أنه ذهب لمكة واعتنق البوذية!! وهو أمر غريب فما جدوى زيارته لمكة إذن؟. والثاني ذكرت أنه توجه لمكة عام 332م وهو تاريخ بعيد حتى عن عهد الرسول وبعثته التي تمت بعد عام 600م [3].

وقبل أن نتصدى لنصنا الأساسي وصورته المتغيرة في النصوص الأخرى ربما يجدر بنا الوقوف قليلاً عند رواية أخرى قصيرة لها دلالات قد تفيدنا في رؤيتنا المنهجية، والرواية تحكى أن أهل سيلان حين سمعوا عن النبي ﷺ بعثوا للجزيرة العربية أحد أفضل رجالهم ومعه غلامه لكي يستطلع الأمر ويتحقق من صدق نبوته. لكن هذا المبعوث لم يصل الجزيرة العربية إلا في عهد عمر بن الخطاب (13–23هـ/634– 644م) - ولم تحدد الرواية الأسباب التي أعاقت هذا الرجل عن الوصول مباشرة . وقد أعجب الرجل بما سمعه عن النبي وخليفته أبي بكر الصديق وما لمسه من عدل وتواضع عمر بن الخطاب . وفي طريق عودته قضى نحبه وهو في

---

(1) فرشته ، تاريخ فرشته ، ج2 ، (بومباى ، 1900) ، ص370.

(2) انظر :

Gundert , H., Keralolpathi, Balan publications, (Trivandrum , 1961) ,p. 32.

(3) انظر :

Randathani, H.,Genesis and Growth of the Mappila Community, in : http://jaihoon.com/watan/indarbmappilacommunity.htm

مكران[1]، فتكفل الغلام بنقل تفاصيل تلك الرحلة لأهالي سيلان ، مما كان له كبير الأثـر في حبهم للإسلام والمسلمين[2]. واعتناق راجا سيلان للإسلام[3].

ونلاحظ أن الرواية الأخيرة تتشابه مع نصنا الأساسي من حيث الهدف من الرحلة ، وهو زيارة النبي والتعرف إليه ؛ كذلك موت الشخصية الرئيسية في الروايتين وتكفل المبعوث بمهمة نقل الرسالة ، وتقارب مكان هذا الموت من ساحل اليمن إلى ساحل إيران الجنوبي .

ونعود مرة أخرى إلى نصنا الرئيسي ؛ ونبدأ برؤية المؤرخين المحدثين له ، حيث انقسموا لفريقين ، فريق يرفض الرواية جملة وتفصيلاً . وآخر يقبلها ولكن مع التحفظ على بعض أحداثها وعلى الفترة التي وقعت فيها . والفريق الأول[4] يرى أنه لا يوجد دليل ملموس على صحة هذه الرواية التاريخية لغلبة الطابع الأسطوري عليها ، ولأن الكثير من تفاصيلها تحوم حوله الشبهات . بجانب أن الشخصيات التي ذكرت بها لا يدعمها التاريخ ، ويرون أن چيرامين ليس اسم ملك بل مجرد لقب ملكى، وأن اسم "ظهير الدين " اسم غريب ولا يمكن أن يكون مسماه معاصراً للملك المزعوم في القرن التاسع الميلادي ، إذ إن كلمة " الدين " لم ترد في أسماء المسلمين إلا في القرن الخامس الهجري . كما أنه لم يثبت أن مالك بن دينار قد زار الهند . كذلك لأن الفترة الزمنية التي من المفترض أنهم تنقلوا فيها في ساحل مليبار وبنوا المساجد الأحد عشر تعد قصيرة نسبياً ولا تناسب هذا العمل[5].

---

(1) تقع مكران في الجنوب الشرقى من إيران وللمزيد عنها انظر، المستوفي ، نزهة القلوب ، بسعى واهتمام لسترانج ، (لندن ، 1919) ، ص 141؛ دهخدا ، لغت نامه، (تهران ، 1336 ش) ، ص 990؛
Holdish, “ Notes on ancient and medieval Makran ”, **GJ**, (1896) ,pp.387 - 405.

(2) بزرك بن شهريار ، عجائب الهند بره وبحره ، (ليدن ، 1886) ، ص 156 – 157 ؛ عبد المنعم النمر ، الإسلام في الهند ، ص69 – 70.

(3) فرشته ، تاريخ فرشته ، ج2 ، ص311 ؛
Nadvi , " Muslim Colonies " ,p.478.

(4) انظر : أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، (القاهرة ، 1947)، ص226 ؛ تاراشند ، " الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند " ، **مجلة ثقافة الهند** ، مارس 1950 ص26 ؛ أبو الصلاح ، " كيرلة القديمة والعرب " ، **مجلة ثقافة الهند** ، يناير 1962 ، ص9.

(5) انظر: Logan , W., Malabar Manual , vol.1 , (Madras , 1951) , p.255.

على الجانب الآخر، هناك من يرى[1] أنه لا يوجد سبب لرفض رواية زيارة ملك چيرا لمكة واعتناقه للإسلام، لأن هذه الأحداث لم تذكر في المصادر الإسلامية فقط، بل فــي بعــض الحوليات الهندية أيضاً مثل: Keralopathi وهناك أيضاً[2] من يقبل صــحة بعــض تفاصــيل الرواية، مثل: قدوم بعض العرب لمليبار، وبرر قدومهم لبلاط الملك المليبارى بأنه جاء بناء على دعوة شخصية من الملك من أجل التعرف على الدين الإسلامي؛ وإن كــان يــرجح أن أحــداث الرواية وقعت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بفترة قليلة.

وهناك آخر[3] يؤيد رواية زين الدين، ويرى اعتماداً على بعض الدراسات المقارنــة أن الملك غادر مليبار إلى شبه الجزيــرة العربيــة عــام 210هـــ/825م، وأنــه وصــلها عــام 212هــ/826م، ثم توفي هناك بعد أربع سنوات، ثم وصل مالك ورفاقه إلى مليبار بعد سنتين من وفاته.

وهناك من الباحثين من لم يهتم بأحداث الرواية بقدر الاهتمام بدلالاتها ؛ فهنــاك مــن استنتج أن المغزى من الرواية هو إظهار أن الأسرة الحاكمة في مليبار انتهت بإسلام ملك يحمل لقب بروميل ثم تم عزله[4]. كما رأى آخر[5] أن الرواية تعبير عن رغبة المسلمين الهنــود فــي إظهار أن دخولهم في الإسلام تم في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي؛ وأن مؤلف هــذا الــنص التاريخي أراد أن يثبت أن اعتناق الهنود للإسلام في البداية لم يقتصر على الطبقات الدنيا التــي كانت ترغب في تحسين أوضاعها في ظل الدين الجديد، وإنما اعتنقه الملوك أيــضاً . أو أنهــا

---

(1) انظر : Narayanan, M., Perumals of Kerala, (Trivandrum, 1972),p. 65

(2) انظر:

Zahoor, A., Chakrawati Faramas, King of Malabar, India, in: http://www.cyberistan.org/islamic/farmas.html

(3) انظر : محيى الدين الألوائى ، مابلا ، ص47.

(4) انظر :

Innes , Malabar and Anjengo , Madras district Gazetteers , (Madras , 1906),p.436.

(5) انظر :. Friedmann , Qissat Shakrawati Faramad , p.245.

تحمل الدليل على طابع المسالمة الذي اتسمت به مؤثرات نشر تعاليم الإسلام في الهنـــد[1]. أو أن بداية انتشار الإسلام واستقرار المسلمين كان في ساحل مليبار[2].

وهكذا كان النص التاريخي الوارد في المصدر المجهول، وما حواه من تفاصيل بـــدت أسطورية في غالبها مثار جدال بين المؤرخين المحدثين، مابين رافض للنص جملة وتفصيلا وبين قابل لها ولكن مع الخلاف حول زمن وقوعها. وسيكون تعاملنا مع هذه الرواية من جانبين؛ الأول يتعلق بمدى صحة أحداثها. والثاني التعمق في دلالات هذا النص التاريخي وما يحمله من إشارات وذلك في ضوء ثلاثة محاور؛ الأول: يتناول الدور العربى في هذه الروايـــة ، والثـــاني معجـــزة انشقاق القمر ومكانتها في التراث الهندي، والثالث شخصية چيرامين بروميل ومكانتها في التراث الهندي.

وبداية فيما يتعلق بصحة الأحداث الواردة في الرواية لا نجد سنداً تاريخياً لهذه الأحداث في كتب السنن والسيرة النبوية أو المصادر التاريخية المؤرخة لتلك الفترة[3]. وذلك باستثناء مـــا ورد في مستدرك الحاكم[4] عن أبى سعيد الخدرى أنه قال " أهدى ملك الهند إلى الرسول جـــرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة قطعة وأطعمنى منها قطعة ". وهذه الإشارة وإن كانت لا تحدد شيئاً، إلا أنها تبدو على الأقل دليلا على وجود صلة بين النبي ﷺ وأحد ملوك الهند.

(1) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص226 ؛

Titus , M., Islam in India and Pakistan , A Religious history of Islam in India and Pakistan , (Calcutta ,1959),p.38.

(2) انظر :

Alway , M., " The role of the Arabs in the spread of Islam in India " , **Minbar al Islam** , 4 (1964),p.54.

(3) انظر على سبيل المثال : البخارى ، الجامع الصحيح المختصر ، (بيروت ، 1987) ؛ أبو عبد الله القزوينى ، سنن ابن ماجه ، بيروت (ب.ت) ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفي السقا وآخرون ، (القاهرة ، 1936) ؛ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج1- ج2 ، (القاهرة ، 1960) ؛ حسين مؤنس ، دراسات في السيرة النبوية ، (القاهرة ، 1988) .

(4) أبو عبد الله الحاكم ، المستدرك ، ج4 ، (حيدر آباد) ، ص35 ، ؛ المباركبورى ، العرب والهنـــد فـــي عهـــد الرسالة ، (القاهرة ، 1973) ، ص111.

وكذلك فإن الشخصيات الواردة فيها لا يوجد لها ذكر تاريخي باستثناء شخصية مالك بن دينار[1] الذي نعرفه كواحد من أشهر متصوفة البصرة، والذي عاش في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجري. وبالتالي لم يثبت زمنياً تواجده في كلا الفترتين اللتي ذكرتا عند المصدر المجهول أو زين الدين المليبارى، بالإضافة إلى أنه لم يثبت تاريخياً أنه سافر إلى الهند أو كانت له صلة بهذه الأحداث، وحتى رواية "رحلة الملوك" التي أعطت لمالك بن دينار دوراً أساسياً في الأحداث ليست دليلاً حاسماً على زيارته للهند. كما تظهر العديد من المتناقضات في جوهر النص نفسه خاصة في التواريخ المذكورة به؛ فالمفترض في النص الأصلي أن زيارة چكروتى تمت قبل هجرة النبي ﷺ إلى يثرب، وأن عمر النبي وقتها كان 57 سنة ، كما أن وفاة چكروتى بعدها كانت يوم هجرة النبي ﷺ وهو أمر غير صحيح وفقاً للسيرة النبوية ، فقد هاجر النبي ﷺ إلى يثرب عام 622م وعمره 51عام [2].

وبرغم ذلك تبقى دلائل وقوع بعض هذه الأحداث قوية ، ولعل ما يدعم ذلك أن شخصية چكروتى من الشخصيات المشهورة في الفلكلور المليبارى[3]. وتذكار هذا الحادث كان حياً في مليبار حتى وقت قريب، فعندما كان حاكم مليبار يعتلى العرش كانوا يحلقون له رأسه ويكسونه كواحد من المسلمين، ويتوجه رجل مسلم ، وبعد حفل التتويج يعاملون الحاكم كأنه مارق فلا يبيحون له أن يجالس حتى أقاربه وأهل بيته ، ويزعمون أنه نائب عن الملك الغائب وينتظرون رجوعه من البلاد العربية . وعندما يتوج بعض الأمراء هناك ويحملون السيف يعلن كل واحد في

---

(1) مالك بن دينار البصري ، عالم زاهد عاش بالبصرة وتوفي عام 131هـ . وللمزيد عنه انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج4 ، (بيروت ، 1977) ، ص139 – 140؛

Arberry, J., An Introduction to the History of Sufism, (Oxford, 1962), pp. 26-31; Nicholson, A . Studies in Islamic Mysticism, (Cambridge, 1967), pp. 89 – 90.

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ، (بيروت، 1995)، ص3 وما بعدها ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ، (بيروت ،2001)، ص177 وما بعدها ؛ حسين مؤنس ، دراسات في السيرة النبوية ، ص46.

(3) عن مكانة شكروتى في الفلكلور المليبارى انظر :

Fawcett , F.," War songs of the Mapillas of Malabar " , **Indian Antiquary** , XXX (1901), pp.449 – 508 , 528 – 537.

دوره قائلاً " إني أحافظ على هذا السيف حتى يرجع العم الذي رحل إلى مكة "[1]. وظـل هـذا التقليد قائماً حتى عام 1890م[2].

وربما يكون قريباً من هذا الافتراض ما ذكره بعض الباحثين[3] من وجود أسرة مالكـة مسلمة بشمال مليبار تعرف باسم "أركل راجاومشم" أى الأسرة المالكـة بأركـل Arakkal. وأن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى چيرامين بروميل؛ فمؤسس هذه الأسرة المالكة ويدعى محمد علـى هو ابن السيدة "سرى ديوى" أخت چيرامين بيروميل. وأن هذه الأسرة تحتفظ بوثـائق تاريخيـة تتحدث عن بداية الدعوة الإسلامية في ساحل مليبار. وقد برز اسم هذا المؤسس - كما ذكرنـا - في مصنف رحلة الملوك.

وتوجد على جدران المسجد الجامع - ببلدة بونانى Ponnani بمليبار - أبيات منقوشـة للشاعر الصوفي الكبير قاضى عمر يتحدث فيها عن چكروتى بوصفه أول مسلم في مليبار [4]:

وبعد فكدغلور منشا موسم بچكرورت برماض مليك معظم
بقطر مليبار جرى حكم ملكه على كل ذي ملك بها بالتقدم
فمعجزة الهادي النبي بيقظة رآها انشقاق القمر لا بالتغيم
فحب النبي منها على قلبه وقع ففي قطرنا قد صار أول مسلم

وقد عثر مؤخراً أحد الباحثين الهنود[5] على نقش يؤيد وصول رفـاق چكروتـى إلـى مليبار خلال الفترة التي ذكرتها روايتنا الأولى. والنقش عبارة عن نص قـديم باللغـة العربيـة منقوش على العتبة الخشبية للمسجد الجامع في مدينة كاسرجود kasargod في مليبار ، والـنص

(1) عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص67؛
Tarachand , M., Influence of Islam on Indian culture , (Allahabad , 1954),p.34.

(2) انظر :
Jaihoon , Perumal in the Theyyum songs , in :
http://jaihoon.com/watan/peruteyymn.htm

(3) محيى الدين الألوائى ، " مليبار (كيرله) " ، **مجلة ثقافة الهند** ، مارس ويونيو 1956 ، ص57 ؛
Mohideen , S., Islam in kerala ,p.7 – 8.

(4) انظر :
Poems of Umar Qazi , in :
http://jaihoon.com/watan/umarpoems6.htm

(5)عن هذا الكشف انظر :
Rao , B., New fact on Islam's arrival , in :
http://muslimsonline.com/babri/keralamuslim.htm

يتحدث عن وصول هؤلاء العرب للمنطقة وقيامهم بنشر الإسلام وبنائهم المساجد فيها . كما يتحدث عن تكوين مؤسسات دينية اجتماعية هناك لمباشرة شؤون المسلمين . كما يذكر أن قبر ابن مالك بن دينار الذي عين قاضياً على تلك المدينة بواسطة أبيه ما زال بساحة هذا المسجد . لكنه لم يشر للملك چكروتى أو زيارته للنبي. ويفصح الكشف الأخير عن صحة بعض ما جاء بالرواية ، مما يؤكد وجود جذور تاريخية لهذه الأحداث.

والمدقق في النص الأصلي للرواية يجد أنه يعد سيرة ذاتية لمالك بن حبيب وذريته ودورهم في انتشار الإسلام في ساحل الهند الغربي أكثر من كونه قصة لإسلام حاكم هندي ، وظهر ذلك في رواية (محمد بن مالك بن حبيب بن مالك) ، وكذلك رواية المؤلف المجهول نقلاً عن ابن مالك . ففي بداية النص نجد أن راوي القصة هو أحد أحفاد هذه الأسرة ، لذا اهتم بذكر التفاصيل الدقيقة بهذه الأسرة والدور الذي لعبته في نشر الإسلام في الساحل الغربي للهند . لذلك فالنص الأصلي يحمل بين طياته تمجيداً لدور العرب – خاصة أسرة مالك بن حبيب – في نشر الإسلام وبناء المساجد في مليبار . ولعل ذلك راجع لما حظى به المسلمون من تكريم واضح في المنطقة؛ حيث حمل المسلمون في هذا الساحل لقب مابلا [1]. وقد اختلف الباحثون في تفسير هذا المصطلح، إذ رأى البعض[2] أن معناها الطفل الأكبر أو الزوج ، بينما مال آخر[3] للمعنى اللغوى ورأى أنه مكون من مقطعين بمعنى ابن الأم، (ما بمعنى أم ، وبلا بمعنى ابن) ، على كون أن العرب كانوا يتزوجون من نساء ملبار، ثم يطلقونهن عند عودتهم لبلادهم ، فكان أولادهم يدعون بلقب مابلا نسبة إلى أمهاتهم المليباريات. بينما رأى ثالث[4] أن (ما) هنا كلمة سنسكريتية معناها العظيم، وأن سكان ماليبار احتفاء منهم بأولاد المسلمين لقبوهم باسم مابلا بمعنى ابن العظيم، ويتأكد ذلك ما عرف من ثقة عظيمة كان يحظى بها المسلمون لدى حاكم جيرا في ساحل مليبار، والت جعلته يصدر أمراً لكل أسرة من البحارة في مملكته بأن تربى واحداً أو اثنين من أولادها

---

(1) - تتكون هذه الكلمة من الناحية اللغوية من مقطعين : (ما) بمعنى أم ، (بلا) بمعنى ابن انظر ، الحاج مولوى ، فيروز اللغات ، أردو جامع ، (لاهور ، 1978) ، ص 190 ، 1031 ؛

Plata,J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore,1983) .,pp.163,977.

(2) عن هذا الرأى انظر أبو الصلاح ، كيرلة ، ص 10 ؛

Tarachand , Influence of Islam , p.33.

(3) انظر ، محيى الدين الألوائى ، مابلا ، ص 31 .

(4) عن هذا الرأى انظر ،

Innes , Malabar and Anjengo, p.190.

على الديانة الإسلامية . صفوة القول: إن الوضع الذي تميز به المسلمون في هذا الساحل ربما كان دافعاً قويا لمحاولة إظهار الدور العربى في نشر الإسلام لينال حظاً أكبر من هذا التكريم والتميز .

ثم ننتقل بعد ذلك لمعجزة انشقاق القمر، التي يبدو أن لها وضعية خاصة في التراث الهندى، فلم تكن قصة چكروتى هي الوحيدة التي ارتبطت برؤية هذه المعجزة، ولم يكن هو الملك الهندى الوحيد الذي رآها . فهناك رواية أخرى وردت في مصنف فارسى متأخر يعرف باسم " رياض الأولياء "[1]. ويروى صاحب هذا المصنف قصة إسلام أحد الحكام الهنود البوذيين ويدعى راجا بهوج Bhoj ، وكانت عاصمته مدينة أوجين Ujain [2]، حين رأى انشقاق القمر ، فجمع حاشيته والعلماء واستفسر منهم عن هذه الظاهرى الغريبة فأخبروه أنها مرتبطة بالنبى العربى محمد. وعلى الفور أوفد الملك وزيره في سفارة إلى النبى محملاً إياه بعض التساؤلات للتحقق من صدق نبوته . وبعد أن أجاب النبى ﷺ عن هذه التساؤلات للوزير أشهر الأخير إسلامه ، كما أعلن أن" بهوج" سيشهر هو الآخر إسلامه . وقد أعطى النبى ﷺ لبهوج اسماً جديداً وهو " عبد الله " وفوضه في اختيار اسم جديد لوزيره . وعندما عاد الوزير وقص على الملك ما حدث أشهر الملك إسلامه وسمى وزيره باسم الشيخ چنگال . ويختتم المؤلف روايته بقوله وقد مات قبل الهجرة وفي بعض الروايات بعد الهجرة ، وقبرا الملك ووزيره موجودان في مدينة دهار Dahar، والتي أصبحت عاصمته بعد إسلامه .

وتبدو هذه الرواية متشابهة إلى حد ما مع رواية چكروتى في رؤية انشقاق القمر ، مع اختلاف التفاصيل . كما تتشابه معها في عدم وجود سند تاريخى لها في السيرة النبوية أو المصادر التاريخية الأخرى ، باستثناء ذكر لها في مصدر فارسى متأخر[3] يتحدث عن قصة بهوج باختصار ولكن يذكر انه حاكم للدكن . واسم بهوج ومملكته في أوجين لا يبدو غريباً على

---

(1) بختيار خان ، رياض الأولياء ، مخطوطة بالمتحف البريطانى (BM Or. 1745) . نشر :
Friedmann , Qissat Shakarawati , p.257.

(2) كانت تقع على الساحل الشمالى الغربى للهند وللمزيد من التفاصيل عنها انظر :
Law , B. , Historical geography of ancient India , (Paris, 1954) , pp.197-299 ;

(3) رفيع الدين دهلوى ،رسالة شق القمر،مخطوطة فارسية بالمكتب الهندى (India Office. Ms.D.P. 1145). نشر :
Friedmann , Qissat Shakarawati, p.258 ; Idem , " A Contribution to the Early History of Islam in India ", in **Studies in Memory of Gaston Wiet**, (Jerusalem- 1977), p.324.

تاريخ الهند ؛ فمن الثابت أن فرعاً مـن البرتهـاريين Pratiharas (80–393 هـ/700 – 1003م)[1] اتجه منذ وقت مبكر إلى أوجين وكون مملكة صغيرة هناك، كما حمل أكثر من حاكم لتلك المملكة اسم بهوج[2]. كما عثر أحد الباحثين[3] على مقبرة في مدينة دهـار Dhar منقـوش عليها نص يتحدث عن وصول ولى يدعى عبد الله چنگال إلى المدينة مع جيش كبيـر ، وعـن تحويله للمعبد البوذى الموجود بالمدينة إلى مسجد . كما تحدث عن إسلام بهوج ، واختياره تلـك المدينة لتكون حاضرة جديدة له .

وهناك رواية هندية أخرى مرتبطة بمعجزة انشقاق القمر ، وتعرف باسم قصة الـشيخ الهندى " رتن " ، والقصة رواها أحد التجار المسلمين ويدعى محمد بن الحـسين خـلال القـرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى ، غذ يروى أنه إبان وجوده في رحلة تجارية بالهند ، وفي إحدى مدنها قيل له أن بها الشيخ رتن الذي قابل النبى ﷺ ومازال على قيد الحياة ، وعلى الفور اتجه ومن معه لمقابلته . وبعد أن التقوا به رحب بهم الشيخ المعمر وقص عليهم حكايته ، حيـث كان تاجراً سافر لمكة قبل بعثة النبى ﷺ وقابله بالصدفة وهو يرعى الغنم ولم يكن يعرفه، ثـم ساعده في أمر ما فدعا له النبى بطول الأجل ، وبعد انتهاء رحلته قفل عائداً إلى الهنـد . وبعـد فترة من الزمن شاهد انشقاق القمر ، ولما سمع من التجار العرب المارين بالهند أن تلك المعجزة مرتبطة بالنبى ذهب لمكة واسلم بين يديه ، ودعا له مرة أخرى بطول الأجـل . وبفـضل هـذا الدعاء عاش رتن 600 عام ونيف [4].

---

(1) أسرة البرتهاريين هي الأسرة الحاكمة لمملكة قنوج في شمال الهند وتحديدا شرقها ، وقد استطاعوا مد نفـوذهم غرب الهند أنظر :

Mahajan , Muslim Rule in India ,(New Delhi ,1970),p17f.

(2) عن الحكام الذين حملوا هذا اللقب من هذه الأسرة انظر :

Ganguly , D., History of the Paramara dynasty , (Dacca , 1933).

(3) للمزيد من التفاصيل عن هذا الكشف انظر :

Yazdani , G., " The inscription on the tomb of Abdullah Shah Changel at Dhar " , **Epigraphia Indo-Moslemica** (1909 -1910) , pp.1 – 5.

(4) للمزيد من التفاصيل عن تلك الرواية ومناقشة المصادر الإسلامية لصحتها انظر:ابن حجر، الإصابة في معرفـة الصحابة ، ج1 ، (القاهرة ، 1939) ، ص 515 – 520 ؛ الذهبى، ميزان الاعتدال في نقـد الرجـال، ج2 ،تحقيق على محمد البجاوى ،(القاهرة، 1963)، ص 45 ؛المباركبورى، العرب والهند،ص 112 – 115؛

Horovitz , S., " Baba Ratan , The saint of Bhatinda " , **Journal of Pakistan Historical Society** 2(1954) ,pp.97 – 114.

ويذكر صاحب رسالة شق القمر أن رتن كان أحد رسل بهوج للنبي ﷺ لامتحان صدق نبوته [1].

تلك باختصار قصة التاجر الهندي الشيخ رتن التي روتها المصادر الإسلامية مع التشكيك في محتواها . وبرغم ما يبدو فيها من مبالغة، وعدم وجود سند تاريخي لها ؛ فإن ما يهمنا في تلك الرواية هو ارتباطها بمعجزة انشقاق القمر، مما يؤكد على مكانة هذه المعجزة في التراث الهندي . ولعل هذه المكانة ترجع إلى ولع الهنود بهذه الظواهر الغريبة ، وإيمانهم بالغيبيات؛ لذلك لم يكن غريباً أن تحرص معظم الروايات التي تناولت هذه القصة على ربطها بمعجزة انشقاق القمر سواء برؤية الملك لها أو سماعه عنها وتأثره في الحالتين بها .

ثم نأتي لشخصية چيرامين بروميل أو چكروتى فرماض ، وحرص الروايات بما فيها نصنا الأصلي على جعله من أوائل من اسلموا ووضعه في مصاف الشخصيات الأسطورية ، وتبدو هذه الرواية محاولة لإبراز جيرامين كشخصية إسلامية مميزة في مواجهة التراث الآخر للأديان المتعددة في المنطقة ، فقد كانت مليبار مركزاً لتجمع العدد من الأديان والمذاهب . فهناك أسطورة تتحدث عن انتشار البوذية في مليبار على يد بالى بانا بروميل الذي اعتنقها وحاول إقناع براهمة مليبار بها لكنهم رفضوها وتآمروا عليه وقطعوا لسانه ونفوه من البلاد ، لكنه تمكن من العودة ونشر الدين البوذي بين سكان مليبار [2]. بل كانت هناك محاولات لتصوير چيرامين على أنه اعتنق البوذية وليس الإسلام ؛ فقد رأى أحد المؤرخين[3] أن چكروتى هو " بالى بانا بروميل " الذي نشر البوذية في ساحل مليبار بعد أن اعتنقها .

كما أن هناك أسطورة تاملية تحكى أن قديساً هندوسياً يدعى"مانى بهاسكرن"ذهب إلى سواحل مليبار في القرن الثالث الميلادي وقام بعمل بعض المناظرات مع المسيحيين هناك ونجح في إقناع بعضهم حتى دخلوا في الهندوسية[4].

---

(1) رفيع الدين ، رسالة شق القمر ، ورقة 196.

(2) الألوائى ، مليبار ، ص 50 -51.

(3) انظر :

Menon , A., The Cochin state manual , (Ernakulam , 1911),pp.36 – 37.

(4) الألوائى ، مابلا ، ص 40.

وهناك أسطورة مسيحية تروى أن القديس توماس St.Thomas اتجه لمليبار خلال القرن الأول الميلادي لكى يبشر بالمسيحية هناك ، وأول مدينة نزل بها هي كدنغلور حاضرة چيرامين بروميل وقام ببناء عدة كنائس في مليبار ، ونجح في إقناع عدد كبير من سكان مليبار باعتناق المسيحية (1).

كما كانت هناك هجرات يهودية لساحل مليبار من يهود اليمن الذين فروا هرباً من اضطهاد المسيحيين لهم هناك واستقروا مع عائلاتهم في مدن مليبار ، وأول مدينة نزلوها هي كدنغلور حاضرة چيرامين بروميل ، وكان زعيمهم يسمى " جوزيف ربان " ، وصار اسمه يتردد في الأغاني الشعبية اليهودية وأدعيتهم (2).

وهكذا نرى أن لكل ديانة في مليبار بطلها المخلص الذي تحرص على تمجيده ، بل إن بعضها حاول الالتصاق بشخصية چيرامين ، لذلك لم يكن غريباً حرص الروايات الإسلامية على الالتصاق بتلك الشخصية وتأكيد انتمائه لجانبها ، وذلك كشخصية أسطورية تلهب خيال الهنود من جهة ، وكملك قوى كان لاعتناقه الإسلام أثره في نشر ودعم الإسلام في ساحل مليبار.

وهكذا فإن القراءة المتأنية للنصوص التاريخية التي تبدو من ظاهرها حبلى بالميثولوجية، قد تفتح علينا أبواباً أخرى من المعرفة التاريخية ، تلك الأبواب التي نرفض أحياناً ولوجها متأثرين بنظرتنا السطحية للنصوص أحياناً . والتعمق في النص وما به من بنى ميثولوجية وفق رؤية متحررة من أية أحكام مسبقة ستقودنا بلا شك إلى آفاق معرفية أرحب ، ولعل في النص الذي تناولناه وما تلاه من نصوص ، والدلالات التي خرجنا بها منها ما يدعم هذه الفرضية .

---

(1) الألوائى ، مليبار ، ص 36 – 37.

(2) الألوائى ، مليبار ، ص35.